

أهم المدارس الغربية المتأثرة بفلاسفة الإسلام

د. طه أحمد نور محمد قذال

أستاذ مساعد - كلية الآداب - جامعة الامام المهدي

tahaelgadal@gmail.com

د. ابراهيم الأمين أحمد محمد

أستاذ مساعد - كلية الدعوة - جامعة أمدرمان الاسلامية

أهم المدارس الغربية المتأثرة بفلاسفة الإسلام
المحور الأول : معابر الحضارة الإسلامية للغرب
المحور الثاني: المدرسة السينائية في الغرب
المحور الثالث: المدرسة الرشدية في الغرب
المحور الرابع: المدرسة العلمية التجريبية في الغرب

مستخلص البحث

هدف هذا البحث إلى التعرف على المعابر التي من خلالها دخلت الحضارة الإسلامية للغرب ، وكذلك هدف البحث لمعرفة بعض المدارس لفلاسفة المسلمين كالسينائية والرشيدية والعلمية التجريبية، التي كان لها الفضل في ابتكار العلوم الإنسانية كالطب، والهندسة والفلك الرياضيات وغيرها .وأيضاً هدف البحث للتعرف على مدى تأثير فلاسفة الغرب بفلاسفة الإسلام. وقد استخدم الباحثان المنهج التاريخي في أخذ النصوص من المراجع والمصادر وتحليلها ، وذلك بالوقوف على الحضارة الإسلامية وإبراز أهم ما استقاه الغرب منها ، وبيان مدى تأثير الغربيين بالحضارة الإسلامية .
توصل البحث إلى عدة نتائج من أهمها: إن الحضارة الإسلامية كان لها الفضل في وضع اللبنة الأساسية للعلوم الإنسانية في أوروبا، وأن أول من اكتشف المنهج التجريبي هم العلماء المسلمين، وأن ابن سينا وابن رشد وغيرهما يعتبرون أستاذة لكثير من علماء الغرب في الفلسفة والعلوم الإنسانية، وقد أوصى البحث: بالاستفادة من المدارس العلمية الإسلامية التي كانت الأساس في النهضة الغربية، ووضع هذه المدارس كلبنة تقوم عليها النهضة العلمية الإسلامية مرة ثانية، الاستفادة من العلوم الغربية التي كانت سبباً في نهضتهم ، ووضع مناهج التعلم في البلاد الاسلامية على نمطها مع مراعاة عدم تعارضها مع العقيدة الإسلامية وأخلاق ومبادئ الاسلام .

Abstract

This research aimed at identifying the corridor through which the Islamic civilization entered the west. It also dealt with some Islamic philosophers, schools such as Cinaeia and Rashidiya as well as scientific and experimental schools, which has a great advantage in creating science subjects such as medicine, engineering, astronomy and mathematics. Moreover the study identified the influence of Islamic scholars on western scholars.

The most important results of the research are:

Islamic civilization has advantage in the development of sciences in Europe.

Muslim scholars are the first to discover experimental method. Ibn sina and Ibn Rushd are considered as pioneers for many western scholars.

Based on the above results, the researcher recommends the following:

Utilization of Islamic scientific schools results which were basis of western Renaissance.

These Islamic scholars should be taken as a model to Islamic scientific renaissance.

Making use of western sciences which have led them to development.

Educational curriculum should make use of western – style, taking in account the Islamic, principles and morals.

ان النهضة العلمية التي يشهدها الغرب كانت متأثرة بالحضارة الإسلامية ، وقد كانت هنالك عدة معايير أدت إلى دخول الحضارة الإسلامية إلى الغرب كصقلية والأندلس وغيرها .

والعلماء المسلمون هم الذين ابتكروا جل العلوم التي قامت عليها الحضارة الغربية ، خاصة في العلوم التطبيقية ، والتجريبية ، والهندسة ، والرياضيات وغيرها ، و إذا أراد المسلمون نهضتهم مرة أخرى كما كانت في سابق عهدها ، تطويرهم لهذه اللبانات التي وضعها علماءهم الأوائل .

المحور الأول

معايير الحضارة الإسلامية للغرب

بذل المسلمون جهوداً جبارة في العلوم كلها وكانت آثارها لدى أوروبا في عصورها الوسيطة حين احتكت بهذه الحضارة الزاهرة عبر قنوات نقلت العلم الإسلامي العربي إلى أوروبا والتي بدورها بنت على ما نهضتها الحديثة، فمن هذه القنوات التي كانت حلقة وصل بين العالم الإسلامي والعالم الغربي الفتوحات الإسلامية التي كانت بمثابة معاير للحضارة الإسلامية والاتصال بالغرب الأوروبي.

١- فتح الأندلس:-

يعتبر فتح الأندلس في القرن الثامن للميلاد (٧١١م/٧٩٢هـ)، أول معبر للمسلمين إلى أوروبا، ووطد المسلمون سلطانهم في أسبانيا بالعلم ولم يزدوا على ما وصل إليه إخوانهم في المشرق الإسلامي من تقدم فحسب بل ابتكروا ما أتاح لأوروبا مورداً تنهل منه منذ أواخر القرن الحادي عشر الميلادي. فقد بلغت الحضارة الإسلامية ذروتها بالأندلس في النصف الثاني من القرن العاشر للميلاد ونتيجة لسياسة التسامح التي اتبعها المسلمون مع أهل الذمة (النصارى، وإلى هود) أقبل المُستعمَرُونَ الأسبان على استخدام اللغة العربية وفضلوها على اللغة اللاتينية، وتتلذذ بعض إلى هود على أيدي المسلمين وهكذا نشأت مدرسة كبيرة من غير المسلمين استطاع أعضاؤها القيام بدور السفراء بين الحضارة الإسلامية وأهالي غرب أوروبا المتلهفين للاستفادة من حضارة المسلمين وشارك إلى هود في الحياة الثقافية بالأندلس مشاركة فعالة في القرنين الثاني عشر والثالث عشر بما ترجموه من كتب عربية كثيرة (١٩).

وابتداءً من القرن الثاني عشر الميلادي نجد أسماء المؤلفين الأصليين وأسماء مترجميهم معروفة للجميع إلا ما قل ونذر، وكان يساعد في هذا العمل عدد كبير من الخبراء وفي هذا الصدد يذكر أغلب الباحثين اسم أسقف طليطلة ضون ريموند (١٢). بصفته راعياً لهذه الحركة ومؤسسها لما يعرف بمدرسة الترجمة الشهيرة بطليطلة. وأما أشهر المترجمين في القرن الثاني عشر وأغزرهم إنتاجاً فقد كان مقيماً بطليطلة وتحت يده الكنز الثقافي الثمين الذي كان بخزانة مسجدها الأعظم وهو المترجم الشهير جيرارد دودي كريمونا (٨)، وكان شخصية قوية وكان عمله أعظم عمل قام به مترجم من اللغة العربية إلى اللاتينية، وأنه لم يفارق الحياة حتى كان أكبر قسط من العلوم الإسلامية والعلم إلى يوناني القديم الذي أحياه المسلمون قد ترجم من العربية إلى اللاتينية وقد استعان ببعض العلماء العرب العارفين باللغة اللاتينية، وأن هذا العالم كان يطلق عليه اسم (غالب) لكن دون ذكر بقية النسب والكنية واللقب (٢٠).

ومن الثابت أن أغلب المترجمين كانوا أسبانيين أو قطلانيين بالإضافة إلى مترجمين آخرين من إيطاليا وألمانيا وهولندا وبريطانيا وفرنسا وعدة مترجمين من اليهود وهكذا

كانت قناة الترجمة هي الوسيلة التقنية والمنظمة لانتقال التراث الإسلامي إلى العالم الغربي ، وأدت مدرسة المترجمين التي رعاها أسقف طليطلة للفكر والعلم الغربيين خدمة لا تقدر بثمن ، وانتقلت كثير من الترجمات التي تمت في هذه الفترة إلى جميع المراكز العلمية في أوروبا.

٢- صقلية :

دخلت صقلية تحت حكم المسلمين في (٢١٢ - ٢٧٢هـ / ٨٢٧ - ٨٨٥م) وهي ذات موقع متوسط بين أوروبا وأفريقيا وتعتبر شبه جزيرة صقلية هي المعبر الثاني للحضارة الإسلامية إلى غرب أوروبا وأدرك ملوكها أهمية بقاء المسلمين فيها لإنعاشها لذلك شمل الملك روجر الأول (١٠٦١-١١٠١م) مسلمي الجزيرة بالرعاية والحماية، وحتى إنه كتب مراسيمه باللغة العربية والآخرة باللغة اللاتينية واليونانية، كما إن وليم الثاني (١١٦٦-١١٨٤م) درس العربية وجعل مستشاريه من المسلمين يرجع إليهم في أهم شؤونه واتخذوا حراساً من المسلمين. وفي عهد الإمبراطور فردريك الثاني (١١٩٤-١٢٥٠م) ورث عرش صقلية في القرن الثاني عشر الميلادي أنشئت مدرسة للشعر العربي وتعلم اللغة العربية وجمع حوله عدداً من العلماء المسلمين وشجع الجغرافيين والفلكيين والأدباء العرب حتى قيل عنه إنه نصف شرقي، ولقد أسهمت صقلية بنصيب كبير في حركة الترجمة عن العربية نتيجة موقعها المتوسط بين أوروبا وأفريقيا وقد ترجم كتاب بطليموس السكندري في المرئيات عن العربية (أبو جينوس البالرمي عام ١١٥٠م) كما قام اليهودي (فرج بن سالم) في القرن الثالث عشر المتوفي عام ١٢٨٥م بترجمة كثير من الكتب العربية إلى اللاتينية (١٩). كما إن فردريك الثاني (أسس في سنة ١٢٢٤م) جامعة نابولي وجعل منها أكاديمية لنقل العلوم العربية إلى العالم الغربي، كما أنه كان يشجع المترجمين على الانتقال إلى طليطلة للترجمة هنالك فانتقل بناء على تشجيعه ميشيل سكوت إلى طليطلة سنة ١٢١٧م وترجم هنالك شروح ابن رشد لأرسطو، كما ترجم الجزء الأول من النفس وتفسيرات ابن رشد أيضا في الطبيعة (٧).

ومرت حركة النقل هذه في مثل الأدوار التي مرت بها من قبل بين اليونانية والعربية فبدأت تلخيصاً وإجمالاً ، ثم غدت ترجمة دقيقة ، واقتربت من بعد ، لشروح والتعليق. على أن أحداثاً سياسية ذات شأن رافقت هذا التقدم الفكري أشدها تأثيراً ، في ما نحن بصدده هجرة جماعات من يهود الأندلس إلى شمالي أسبانيا وجنوبي فرنسا وذلك على أثر الإضطهاد الذي لاقوه من المرابطين أولاً ثم من الموحدين. فقد نقل هؤلاء ما كان في حوزتهم من كتب العرب واستأنفوا نشاطهم الفكري في مواطنهم الجديدة، وكان من رغبتهم في العلوم وحرصهم على اللغة العبرية أن أقبلوا بهمة على نقل تلك العلوم إلى العبرية على أنهم لدى اختلاطهم بيهود المنطقة أخذوا يتحولون بلغتهم الخاصة إلى لهجة أولئك وربما راودهم الأمل في جعل العبرية الأوربية لغة العلم مكان اللاتينية لكن

صعوبة تحقيق هذا الهدف من جهة وحب الكسب من جهة ثانية حولهم إلى الاشتغال بالنقل إلى اللاتينية) (١٨).

و حين حل منتصف القرن الثالث عشر كانت جميع آثار ابن رشد الفلسفية قد ترجمت إلى اللاتينية إلا شرحه للاورغانون الذي جاء بعد ذلك بقليل ، ثم تهافت التهافت ، الذي لم يترجم إلى اللاتينية حتى اضطلع بترجمته اليهودي كالونيموس في عام ١٢٢٨م وترجم بعض آثاره الطبية كذلك في القرن الثالث عشر منها (الكليات) (وكتاب التركيب) وترجم البعض الآخر من العبرية إلى اللاتينية في أوائل القرن التالي له (٩) أي الرابع عشر.

أدى هذا التدفق الثقافي الإسلامي لأوروبا المسيحية إلى ظهور حركة فكرية بلغت من القوة في القرن الثالث عشر حداً جعل من ذلك القرن أزهى عصور الفكر الأوروبي في أوروبا المسيحية قبل عصر النهضة فإن ميادين المعارف الفلسفية والطبية والكيميائية والرياضية والفكرية التي ترجمت من اللغة العربية نفتت أنظار المفكرين الأوروبيين بتنوعها وجدتها ودقتها وعمقها إلى مدى الفقر الفكري الذي كانوا يعانونه بالقياس إلى هذه الكنوز التي انفتحت لهم أبوابها على مصارعها.

٣- الحروب الصليبية :

وهي من المعابر التي عبرت بها الحضارة الإسلامية إلى الغرب تلك الحروب التي تقع مرحلتها الحاسمة بين ١٠٩٦-١٢٩١م أي نهاية القرن الحادي عشر ونهاية القرن الثالث عشر وكان لها إثرها. كانت هذه الحروب لقاء الشرق مع الغرب وازدهرت فيها حركة التجارة ونشطت المدن مما ساعد على إنعاش الحضارة ونشاط الأعمال المعرفية (١٠).

فنشأة الجامعات الأوروبية التي هي نفحة من نفحات الحضارة الإسلامية أرسلت إلى الغرب من خلال الحروب الصليبية ، فقد رحلت طائفة من الملوك الأوروبيين إلى البلاد الإسلامية أشهرهم فردريك الثاني إمبراطور ألمانيا وصقلية ، وريتشارد قلب الأسد ملك إنجلترا، ولويس التاسع ملك فرنسا، وشهد هؤلاء الملوك عظمة المسلمين ، ومظاهر حضارتهم ومدارسهم، ثم رجعوا إلى بلادهم يحملون لها أمالاً عظيمة ، وكانوا عضداً للأساتذة والطلاب في تكوين إتحاداتهم الجامعية ضد سلطة الكنيسة التي كانت تريد لنفسها كل شيء من العلم الضئيل الذي كان يحتكره رجال الكنيسة لأنفسهم. ولقد ساعد استقلال الجامعات بدوره أساتذة الجامعة إلى خلع لباس الكهنوت، وأخذوا يدرسون العلوم بطريقة أكثر تحراً ويختارون ما يشاءون من المذهب ، ويعتقدون ما أرادوا من النظريات ومن هذا الطريق تغلغل الفكر الإسلامي في أوروبا، كما تغلغل الفن المباشر عن طريق الحروب الصليبية أو التجارة (٢٢).

في هذا الوسط وثبتت الفلسفة ووثب اللاهوت وثبة كبرى وبلغ ، العلمان أوجهما بسرعة

مدهشة. ويرجع الفضل في ذلك إلى عاملين رئيسيين:
أحدهما استبحار التعليم فتنشأت الجامعات وتكاثرت خلال القرن المدارس الخاصة
، رهبانية وأسقفية ، وكان أشهرها (السوربون) أقامها سنة ١٢٥٣م رويدي سوربون
(١٢٠١-١٢٧٤م) كاهن الملك لويس التاسع.
والعامل الآخر الكتب المنقولة من العربية واليونانية وبخاصة كتب أرسطو
وشراحه (٢٤).

وأصبح للفكر الإسلامي في قلب أوروبا وجامعاتها مؤيدون ومعارضون وانقسم الناس
شيعا حول الفلسفة الإسلامية والفلسفة المشائية الأولى.
وقد كان لكل من ابن سينا وابن رشد بصفة خاصة حجة عظيمة في العصور الوسطى
في أوروبا، وظهر هنالك تيار يعرف بالسينائية (Avicennism)، وتيار آخر يعرف
بالرشدية (Averoism)، وهكذا كانت بذرة المدارس الغربية الفلسفية المتأثرة
بالفكر الإسلامي وقد انقسمت إلى مدرسة السينائية في الغرب والرشدية والتجريبية.

المحور الثاني

المدرسة السينائية في الغرب

لقد استقر عند معظم الإفرنج على اختيار فلسفة ابن سينا وخاصة اللاهوتيين
المسيحيين اتخذوا فلسفة ابن سينا مصدراً لإلهامهم، وذلك لأن فلسفة ابن سينا كانت
مكتملة وأكثر تفصيلاً من فلسفة أرسطو فقد سكت أرسطو عن الكلام في أصل الكون
وتكلم قليلاً عن الله فلما جاء ابن سينا والذي يعتبر تلميذاً مجدداً، أفاض في الكلام
عن الله والملائكة والخلق والخير والعناية وحاول التوفيق بين العقل والإيمان ، وهو أمر
يتفق مع الآراء المسيحية التي تشبه الإسلام في كثير من الأمور لذلك تأثر به عدد من
فلاسفة الغرب على سبيل المثال: الإسكندر الهاليسي (١١٧٥-١٢٤٥م) وهو إنجليزي
وكان أستاذاً بجامعة باريس يمتدح ابن سينا مرة وينقده مرة أخرى، ويأخذ عليه القول
بأزلية العالم ويقول انه لا يصدر عن الواحد إلا واحد. ومع ذلك فلا يذكر الهاليس إلا
ابن سينا في لاهوته ، ويرى أن ابن سينا قد اكتشف قوة نفسانية جديدة هي (القوة
المتوهمة) (٢٢).

وهذا الموقف بعينه هو ما اتخذته زميل له في الجامعة وهو وليم الأوفروني (١٢٤٩م)
الذي أصبح فيما بعد أسقفاً لباريس، فإنه عني بدراسة الفلسفات الوافدة، وقبل كل ما
لا يتعارض مع العقيدة المسيحية في صورتها الأوغسطينية.

ورفض ما خالف ذلك فتجده يردد براهين ابن سينا على خلود الروح ولكنه يفند
نظريته عن العقول العشرة قائلاً بأن الله يخلق الأشياء بإرادته الحرة وهي لا تصدر
عنه بالضرورة ولا عن طريق الوسائط (١٦).

وممن تأثروا بابن سينا القديس أنسلم (٣) وقد اعترف أنسلم بالعقل الإنساني كمصدر

للمعرفة إلى جانب الوحي وما يقيمه التفكير العقلي إيمانه بصحة العقائد الدينية ولذلك انتقد الموقف المتطرف لكل من اللاهوتيين والجدليين، وحاول التوفيق والتوسط بالجمع بين الطرفين على أن يكون الإيمان سابقاً على الفهم مكملاً للإيمان. وهو بذلك يعارض اريجنيا (٨٠٠م-٨٨٠م) ويقف موقف القديس أوغسطين (٣٥٤-٤٣٠م) فأخذ على الجدليين اشتراطهم الفهم والتعقل قبل الإيمان وإخضاعهم النصوص الدينية المقدسة بما تشتمل عليه من خوارق المعجزات للبحث العقلي والمنطقي كما لو كانت أموراً مشكوكاً في صحتها. فهذا الطريق لا يؤدي إلى الإيمان، بخلاف ما إذا كان الإيمان هو نقطة الابتداء فإنه يؤدي إلى الفهم فما دام الإيمان والفهم مطلوبين معاً فيكون هذا الأخير هو الطريق الصحيح، لأن ما نريد فهمه ليس أموراً توصل إليها العقل من تلقاء نفسه بل حقائق ووقائع دينية وصلت إلينا عن طريق الوحي، فالإيمان بها مقدماً هو الذي يجعل فهمها ممكناً. وأخذ على اللاهوتيين من خصوم المنطق استهانتهم المعيبة بأهمية الفهم لصحة الإيمان. وشتان بين قيمة الإيمان بلا فهم وبين قيمة الإيمان الذي يقتنع به المؤمن عن فهمه ويقين (١٦).

وقد اقتبس عن ابن سينا القديس توما الاكويني (٥). التميز بين الماهية والوجود وغيرها وان كان يأخذ على ابن سينا أن علم الله على الكليات دون الجزئيات، فأضاف إلى الله معرفة ناقصة الوجود وأبطل عنايته (٢٢).

وقد كانت الفلسفة المدرسية المسيحية ممثلة في البرت الكبير (١٠٢٦-١٠٨٠م) و الاكويني متفقة في بعض آرائها مع ابن سينا وبوجه خاصة في نظرية المعرفة كما أخذها ألبرت وتوماس بما رآه ابن سينا في مسألة الكليات وفي هذه النقطة كثير ما اقتبس توماس وألبرت من ابن سينا بوصفه صاحب حجة، كما أخذ توماس وألبرت من ابن سينا الماهية والوجود ونجد أيضاً تأثير ابن سينا حياً وقوياً في تعريف ألبرت للنفس وفي نظريته في النبوة (٢١).

أما روجر بيكون (١٢١٤-١٢٩٤م) فإنجليزي درس بأكسفورد ثم ذهب إلى باريس وأقام بها بضع سنين، ثم عاد إلى أكسفورد، ثم كف عن التعليم، لأنه يدخل السحر والتنجيم ضمن العلوم التجريبية، ورجع إلى باريس وكان لهذا السبب موضع ريبة عند رؤساءه رهبته لأن الفرانسييس كان من معاصريه، وكان أكبر معرفة بابن سينا ومصنفاته، ويقدمه على ابن رشد ويعتبره اسماً كبيراً بعد أرسطو وأهم شراحه وزعيم الفلسفة كما يراه أعظم ممثلي الفكر العربي وثاني فيلسوف بعد أرسطو (٢٢).

هذا هو مدى تأثير الغرب بالفيلسوف العربي ابن سينا ويمكن لنا أن نعرف أثره في غير الفلسفة، لأنه ترك تسعة وتسعون مؤلفاً في مختلف فروع المعرفة أشهرها كتاب «القانون» الذي اعتبره الأوربيون خير ما أنتجته القريحة الإسلامية، فكتابات ابن سينا في الطب قد ترجمت إلى الكثير من لغات العالم وظلت مرجعاً وأساساً للدراسات الطبية في

جامعات فرنسا حتى القرن السابع عشر. ويبدو من مناهج جامعة لوفان سنة ١٦١٧م أن دراسة الطب فيها اعتمدت عندئذ على كتب أبوبكر بن زكريا الرازي وابن سينا. ولا عجب فقد وافق البابا كلمنت الخامس ١٢٠٩م على أن تكون كتابات ابن سينا والرازي ضمن الكتب التي يجب أن يمتحن فيها الطالب إجبارياً للحصول على إجازة الطب من جامعة مونتبليه (١٠).

وقد كان لكل من ابن سينا وابن رشد بصفة خاصة حجة عظيمة في العصور الوسطى في أوروبا، وأصبح هنالك تيار يعرف بالسينائية ويثبت كارادفوفهو (Carde Vaux) وجود سينائية لاتينية في أوروبا في القرون الوسطى تتركز الناحية البارزة منها على العنصر العربي أكثر مما تتركز على العنصر الأغسطين أو على أي تلوين آخر من التفكير المسيحي في القرون الوسطى وهذا ديكارت (١٥٩٦-١٦٥٠م) يقول في القرن السابع عشر بمبدأ الكوجيتو، وهو إثبات وجود الذات في أي فعل من أفعال الفكر (أنا أفكر فأنا موجود). ولا نستطيع أن نشك دون أن نكون موجودين يقول بالرأي وينسبه لنفسه وهو لم يخرج فيه عن أنية ابن سينا التي أوردها في كتاب الشفاء في أكثر من موضع، وفي كتاب التنبيهات والإشارات (٢٢).

المحور الثالث

المدرسة الرشدية في الغرب

وقد بدأت حركة الرشدية اللاتينية أي إتباع ابن رشد من الأوربيين منذ أن ترجم ميخائيل أسكوت (٢٢) (١٢٣٥م) شروح ابن رشد على مؤلفات أرسطو في الفترة الواقعة بين سنة (١٢٢٨ و ١٢٣٥م) لما كان فلكياً في بلاط فردريك الثاني في بالرمو بصقلية (١٤).

ويعد بالفعل الأول لترجمات نصوص ابن رشد إلى اللغة العبرية على يد اليهودي أند روس وانطلاقاً من ترجماتهم تعددت الشروح والملاحظات والتعاريف لمختلف إنتاج ابن رشد الفكري حتى أصبح يعد من بين المصادر الأساسية والمراجع الرئيسية للفلسفة وبفضل الدور الكبير لهؤلاء المترجمين والدارسين لهذا الفكر بدأ الانتشار الفعلي لمؤلفات ابن رشد المترجمة إلى اللاتينية ومن ثم ظهرت الكتابات المسيحية ذات المنحى والمنزع الرشدي.

ويمكن أن نميز ثلاث مدارس رشدية لاتينية هي:

أولاً: الرشدية العبرية التي بفضلها اكتسبت الفلسفة اليهودية لونها العربي الإسلامي وتعتبر مؤلفات ابن رشد وابن ميمون (١١٣٥ - ١٢٠٤م) الصورة المثالية لما سمي الفكر العربي العبري ومؤلفات هذين العالمين. تعتبر ذات أهمية عظيمة جداً في التكوين الفكر اللاتيني.

والحقيقة أنه ليس هنالك مفكر كان أعظم تأثيراً من ابن رشد في الفكر اليهودي في

الفترة الأخيرة من القرون الوسطى رغم أنه لسوء حظه في العالم الإسلامي لم يخلفه تلميذاً واحداً يواصل فلسفته. ولقد واصل فلسفته من بعده موسى بن ميمون ومدرسته وحفظت معظم تعليقات ابن رشد في ترجمات عبرية أو ترجمات لاتينية عن العبرية والقليل منها حفظ في العربية (١).

ثانياً: الرشدية اللاتينية التي مثلها (سيجر البرابانتى- (١٢٣٥-١٢٨٢م) (١١) ، وهو حامل لواء الرشدية اللاتينية في القرن الثالث عشر في جامعة باريس، اهتم سيجر بأرسطو وابن رشد وادخل في مذهبه أيضاً عناصر من الإفلاطونية الحديثة عن ابن سينا، ووافق في القول بأن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا واحد، وذهب إلى أن عمليات الخلق تتم كلها بالضرورة وبفعل الأفلاك السماوية لا بالإرادة والعناية الإلهية (١٥).

ثالثاً: وهناك اتجاه ثالث وهو الرشدية المتأخرة الذي هيمن على القرون الوسطى منذ نهاية القرن الثالث عشر الميلادي إلى منتصف القرن السادس عشر. وميزة هذه الرشدية المسيطر على جامعتي بولونيا وبادو الإيطاليتين ، ومن خلال هذا التعاليم الرشدية بقي اسم ابن رشد مذكور إلى القرن الثامن عشر الميلادي في الفلسفة الأوروبية. وكانت الرشدية اللاتينية يمثلها فريق من الأساتذة بجامعة باريس أعجبوا بفلسفة أرسطو كما شرحها ابن رشد واعتقوها فبالرغم من مخالفتها للعقيدة الدينية التي أعلنوا تمسكهم بها وبرروا موقفهم هذا باختراع فكرة الحقيقة المزدوجة وتلخص في أن هناك حقيقة عقلية فلسفية وأخرى إيمانية دينية، ويمكن للإنسان أن يتمسك بهما معاً بالرغم مما يكون بينهما من تناقض ، لأن ميدان العقل والفلسفة هو العالم الطبيعي، ومجال الإيمان والدين هو عالم ما وراء الطبيعة (١٦) .

وما إن انتشرت آثار ابن رشد بين الفلاسفة المدرسين حتى انقسموا إلى فريقين يشهد كلاهما بعلو معارفه الفلسفية ومدى إلمامه ومعرفته بالأرسطاليسيه فريق مؤيد وفريق مناهض ومعارض لا قوة له والأول تزعمه سيجر البرابانتى وتزعم الثاني توما الأكويني (١٢٢٥ - ١٢٧٤م) ويحتل توما مركز الصدارة في الفكر اللاهوتي المسيحي ويعد التلميذ الأول والشارح الكبير، وفي وقت واحد ألد خصم لبقية المذهب الرشدي، وحملته على هذه المدرسة تتمثل في مؤلفة: (وحده العقل ضد الرشديين الباريسيين) الذي أنجزه في عام ١٢٧٠م فني هذا العام قام القديس توماس في وقت واحد بالحملة على الأساتذة الدنوبيين (غير الرهبان) والأوغسطينية القديمة وعلى الرشدية القديمة التي تدين بها بعض أساتذة كلية الآداب في جامعة باريس (١٥) . وبالرغم من هذه المواقف لتوما الأكويني إلا أنه في سبيل الظهور أمام معاصريه بمظهر المفكر المبتكر يأخذ آراء ابن رشد وينسبها لنفسه فقد نسب لنفسه نظرية في حرية الإرادة بسطها الأكويني باعتبار إنها له وهي: (إن الله أعطانا حرية الاختيار ولكن هذه الحرية غير محدودة وهكذا يهب الله

الإنسان الإرادة ولكن هذه الإرادة غير محدودة ، إذ يستطيع المرء بعد التفكير والتأمل أن يصمم على اختيار أمر دون آخر. حتى براهينه في هذه المسألة يسرقها دون أن يشير إليه بشيء (١٥) فالقديس توما الأكويني - باستثناء معاصريه جميعاً قد وقف على الفلسفة الرشدية الحقيقية وذلك بفضل طائفة من الدومنيكين عملت على نقل فلسفة ابن رشد الحقيقية إلى التفكير المدرسي اللاتيني وبفضلها أتاحت لتوما الأكويني أن يعرف ابن رشد خير مما عرفه أساتذة البيرت الأكبر وأفضل مما عرفه خصومه ممن أطلقت عليهم اسم الرشديين اللاتينيين، كما إن هنالك طريق آخر تسرب منه آراء ابن رشد إلى الفيلسوف المسيحي هو أن الاكويني أطلع على ما كتبه أمواس بن ميمون في مسألة التوفيق بين العقل والدين. وقد اعترف هو نفسه بأنه أخذ عن ابن ميمون فكرته عن الأسباب العقلية التي توجب على الإنسان الإيمان بوجود الله والوحي ونحن نعلم أن ابن ميمون يعد من بين تلاميذ ابن رشد (١٥).

وقد تجددت الرشدية مرة أخرى وسميت بالمدرسة الرشدية الجديدة ظهرت في أعقاب ذلك في جامعة بادوا القريبة من البندقية، حيث اعتنقها رجال تعصبوا بسببها لفلسفة أرسطو تعصباً نافسوا به تعصب الكنيسة واللاهوتيين في الدفاع ضد حركات التجديد المماثلة في المذهب الرشدي والمنهج العملي التجريبي، ابتداء من القرن الرابع عشر، فهم وان كانوا قد نادوا بالإحتكام إلى العقل والتجربة والطبيعة إلا أنهم كانوا يقصدون بذلك كتب أرسطو وشروح ابن رشد في مواجهة فلسفة القديس توماس الذي حاربوه باعتباره قائداً للفلسفة، وأشادوا بابن رشد باعتباره تجسيد للعقل الإنساني المتحرر. وقد صنعوا ذلك مع إعلانهم التمسك في نفس الوقت بالعقيدة المسيحية تطبيقاً لمبدأ الحقيقة المزدوجة، وإن كان هذا المبدأ يخفي وراءه عند البعض خروجاً على العقيدة، وقد استمر مذهبهم نشيطاً في جامعة بادوا طيلة القرنين الرابع عشر والخامس عشر، ثم اكتسب قوة جديدة في القرن السادس عشر، استمرت في القرن السابع عشر أيضاً حيث اشتهرت تجارب جاليليو (٦) الحاسمة في علم الطبيعة وصنعت خاتمة لنظريات أرسطو الطبيعية وحماس الرشديين في الذود عنها (١٦) .

وبهذا اكتسب شهرته في أوروبا بالدرجة الأولى بسبب شروحاته الواسعة والعميقة لمؤلفات أرسطو الأمر الذي جعل دانتي يقول عنه في الكوميديا الإلهية (الجحيم) الأنشودة الرابعة لابن رشد الذي صنع الشارح الكبير، وبذلك ارتبطت باسمه تيارات ونزعات فلسفية عريضة أطلق عليها في أوروبا اسم الرشدية اللاتينية التي تنضوي تحت طروحات ونظريات عامة هي:-

١- مسألة العالم التي ترفض مبدأ فعل الخلق الإلهي للكون وتتقبل وجود الإله في سياق

المنتسب الأول والمحرك للوجود.

٢- نظرية العقل الفعال التي نفت الخلق ونفت أيضاً عدم اختفاء النفس البشرية

ورآه ، إن عملية المعرفة والإدراك ليس إلا اتصالاً وتواصلًا من أطراف العقول الفردية السلبية غير الفعالة بالعقل للكون الأعظم.

٣- إشكالية علاقة الإيمان بالمعرفة والوحي بالعقل التي عالجها الرشديون اللاتينيون وفقا لفهم آخر مغاير لرأي ابن رشد ذاته إلى معين (٢) ، وعلى الرغم مما لقيته الرشدية اللاتينية من هجوم وأعظمها من جانب السلطات الدينية ، في أواخر القرن الثالث عشر فإنها استمرت تنمو وتنتشر وتكتسب الأنصار طوال القرن الرابع عشر فنجد (جاندي Jeande Jandin) (المتوفى ١٢٢٨م) يخلص كل الإخلاص لمذهب ابن رشد ، ويدافع عنه ضد القديس توما ، لأن ابن رشد هو في نظرة تعبير الفلسفة الكاملة المجيده ، نجد كذلك (مارسيلو الباروفاني) (Marsile de Padaue) (المتوفى بين سنة ١٢٣٦-١٢٤٣م) الذي طبق نظريته الفصل بين العقل والنقل على السياسة فطالب بالفصل بين الدين والدولة وصرح بنظرية ازدواج الحقيقة أي ثمة حقيقتين منفصلتين قد تتعارضان أحياناً وهما الحقيقة الدينية والحقيقة الفلسفية. واستمر تأثير ابن رشد في نمو مطرد في بعض الأوساط الفلسفية. أما تأثيره بوصفه شارحاً لأرسطو فقد استمر حتى القرن السابع عشر (١٤) .

المحور الرابع

المدرسة العلمية التجريبية في الغرب

منذ تأسست جامعة أكسفورد واطلع رجالها على الكتب الفلسفية والعلمية المترجمة من اللغة العربية ظهر لديهم الميل إلى الناحية العلمية التجريبية أكثر من الميل إلى الناحية الفلسفية الميتافيزيقية، ومن أقدم الشخصيات التي وضعت أسس الاتجاه العلمي الرياضي في أكسفورد التجريبي روبرت جروسست Robert Grossetste (١١٧٥ - ١٢٥٢م) الذي كان مديراً لجامعة أكسفورد ثم عين أسقفاً لنكولن ١٢٢٥م وشغل وظيفته بقية حياته، وقد انتقد استخدام منهج أرسطو القياسي فيما لا يصلح له من مجالات الروح والإلهيات والعقائد الدينية (١٦) .

وكان مثال العلم عنده وعند أساتذة أكسفورد ، كتاب المناظر للحسن بن الهيثم (٢٥٤ / ٤٢٠هـ). لذلك هو يستخدم الأسلوب الرياضي في التدليل ، ويعتقد أن الرياضيات وحدها تفسر الظواهر الطبيعية ، أي (أن علل هذه الظواهر يمكن أن تكون خطوطاً وزوايا وأشكالاً) لأن الطبيعة تعمل بأقصر الطرق ، تبعاً لمبدأ الإقتصاد والكمال وأقصر طريق هو الخط المستقيم. بهذا المنهج الرياضي تصير العلوم الطبيعية علومًا برهانية - وهذا يعني أنها تصير إلى تفسر الظواهر بالعلل الفاعلية دون العلل الصورية والعلل الغائية الملحوظة عند أرسطو (٢٤) .

إن جهود علماء المسلمين في شتى فروع العلوم الرياضية والطبية والفلكية والطبيعية وغيرها كانت الذخيرة الحية والقاعدة العريضة التي كانت بمثابة نقطة الإنطلاق

للحضارة الغربية المعاصرة.

لقد كان روجر بيكون (١٢١٤-١٢٩٤م)، رينيه ديكارت (١٥٩٦ / ١٦٥٠م)، وجون استورت ومل (١٨٠٦ / ١٨٧٣م)، وغيرهم في الغرب تلاميذ، كما كان ابن الهيثم والبيروني (٤) وجابر وابن سينا والرازي... وغيرهم كثيرين من نوابغ الفكر الإسلامي فلم يكن روجر بيكون ولا شريكه في الاسم بيكون الآخر. يستحقان أن يسند إليهما فضل إدخال الأسلوب التجريبي في أوروبا، فروجر بيكون لم يكن إلا رسولا عن علوم المسلمين ومناهجهم لأوروبا المسيحية، وهو لم يكن مطلقاً المقرر في القول إن الطريق الوحيد في العلم الحقيقي هو تعلم العربية وتعلم العلوم العربية (١٢).

وتنسب لروجر بيكون دراسات قيمة في انكسار الضوء وفي العدسات وفي قوس قزح وفي المرايا المقعرة... الخ، كما ينسب إليه صلاح التقويم الشمسي المعمول به. وقد اشتغل بتجارب الكيمائيين العرب من تبخير وتقطير وتحليل وتركيب حتى لقب بابي التجربة العلمية. وكان له نظرات مدهشة في نفاذها إلى ما يمكن التوصل إليه من مفارقات بفضل المنهج التجريبي إلى ما يمكن التوصل إلى مصابيح تضيء بغير وقود حمامات ساخنة بغير نار، وسفن تتحرك بلا مجاديف وعربات تجري بلا دواب تجرها، وطائرات تنتقل في الجو وغواصات تنتقل في أعماق البحار وآلات رافعة لأكبر الأثقال ومفرقات تبديد الجيوش بدون التحام بالسيف... الخ.

ولعل من أروع ما أشار إليه في كتبه مطالبته بضرورة وضع الإمكانيات الهائلة للعلوم الطبيعية تحت إشراف المبادئ الأخلاقية حتى لا تجلب الدمار بدل العمران الإنساني، فكأنه كان يرى بظهور الغيب التكاليف التي ينطوي عليها وضع القوى التدميرية الهائلة في يدي حكام يدينون لمبادئ شريرة مثل النازية الألمانية والبرجماتية الأمريكية (١٦).

ولنا أن نختم ما ختم به دكتور على سامي النشار من أقوال المفكرين في المنهج العلمي وعلاقة العرب المسلمين به حيث يورد أقوال لمفكرين (يقول مفكر الهند المعاصر المرحوم محمد إقبال: إن (Duhring) يقول: إن آراء روجر بيكون عن العالم أصدق وأوضح من آراء سلفه، ومن أين استمد روجر بيكون دراسته العلمية؟ من الجامعات الإسلامية في الأندلس).

ويقرر الأستاذ (Briffault) في كتابه «Making Of Humanity» ”أن روجر بيكون درس العلم العربي دراسته عميقة، وأنه لا ينسب له ولا لسميه الآخر أي فضل في اكتشاف المنهج التجريبي في أوروبا. ولم يكن روجر بيكون في الحقيقة إلا واحداً من رسل العلم والمنهج الإسلامي إلى أوروبا المسيحية ولم يكف بيكون عن القول: بأن معرفة العرب وعلمهم هو الطريق الوحيد للمعرفة المعاصرة. إلى أن يقول أما مصدر الحضارة الأوروبية الحق فهو منهج العرب التجريبي وقد انتشر منهج العرب التجريبي في عصر بيكون وتعلمه الناس في أوروبا يحدوهم إلى هذا رغبة ملحة (١٧).

وهكذا أصبحت المعرفة العربية شرطاً أساسياً يجب أن يتوفر في الأوربي المثقف مما جعل الجامعات الأوربية في العصور الوسطى تعتني باللغة العربية عناية فائقة بوصفها لغة العلم والمعرفة، ولقد ظلت كثير من كتب العرب ومؤلفاتهم في العلوم المختلفة موضع ثقة الأوربيين العلمية حتى القرن السابع عشر .

الختامة :

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم بحمد الله وتوفيقه تم هذا البحث المتواضع وقد اشتمل على عدة نتائج وتوصيات منها :

النتائج :

- ١/ أن الغرب بنى حضارته المادية على الأسس التي كانت عند علماء المسلمين متمثلة في المدرسة السينائية والرشدية والعلمية التجريبية .
- ٢/ كانت صقلية والأندلس وغيرها أهم المعابر التي استقى من خلالها الغرب حضارته المادية
- ٣/ أن أول من اكتشف المنهج التجريبي هم علماء المسلمين .
- ٤ / إن جهود علماء المسلمين في شتى فروع العلوم الرياضية والطبية والفلكية والطبيعية وغيرها كانت الذخيرة الحية والقاعدة العريضة التي كانت بمثابة نقطة الإنطلاق للحضارة الغربية المعاصرة.
- ٥/ أن المدرسة السينائية والرشدية تعتبر من أهم المدارس التي شرحت فلسفة أرسطو تاليس وأفلاطون وسقراط ، وقد تأثر فلاسفة المسيحية اليهود من قبلهم بهذه المدارس في تلك الشروحات .
- ٦/ تأثر كثير من علماء الغرب بابن سينا وابن رشد وغيرهم في فلسفة الوجود - الألوهية - والنفس وغيرها .

التوصيات :

- ١/ الاستفادة من المدارس العلمية الإسلامية التي كانت الأساس في النهضة الغربية، ووضع هذه المدارس كلبنات تقوم عليها النهضة العلمية الإسلامية مرة ثانية.
- ٢/ الاستفادة من العلوم الغربية التي كانت سبباً في نهضتهم ، ووضع مناهج التعليم في البلاد الإسلامية على نمطها مع مراعاة عدم تعارضها مع العقيدة الإسلامية وأخلاق ومبادئ الإسلام .
- ٣/ الاحتفاظ بالتراث الإسلامي في المجالات العلمية ، وتحفيز العلماء والباحثين حتى ينهضوا بالأمة الإسلامية ولتكون لها الريادة كما كانت في سابق عهدها .

قائمة المراجع:

- ١/ د. إبراهيم موسى هنداوي، الأثر العربي في الفكر اليهودي، مكتبة الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- ٢/ إليكسي جورافسكي، الإسلام والمسيحية، ترجمة، د. خلف الله محمد الجراد، عالم المعرفة ط ١٤١٧هـ/١٩٩٦.
- ٣/ أنسلم: ولد في أوستيا شمال إيطاليا ١٠٢٢- تعلم في فرنسا في ديريك بنور مندية ثم أصبح رئيس اسقفيا على كنترو بري من ١٠٩٢م، إلى وفاته ١١٠٩م أشهر مؤلفاته مونولوجيوم أي (محادثة النفس) وفي عرض ثلاثة براهين على وجود الله.
- ٤/ البيروني أبو الريحان البيروني نحو (٩٧٣ - ١١٤٨هـ) مؤلف عربي من أصل فارسي ولد بضاحية خوارزم درس الرياضيات والفلك والطب والتقاويم والتاريخ والعلوم إلى يونانية والهندسة) وكانت بينه وبين ابن سينا علاقة وثيقة من مؤلفاته (الأثار الباقية من القرون الخالية) وتاريخ الهند، (موسوعة علم النفس، مج الرابع عشر، د. محمد عبدالرحمن العيسوي).
- ٥/ توما (توماس) الأكويني: حوالى (١٢٢٥ - ١٢٧٤) فيلسوف ولاهوتي إيطالي أعلن قديساً درس على البيرت الكبير بكونونيا وباريس كما عمل مستشاراً للبلاط البابوي تحتوي قائمة مؤلفاته على ثمانية وتسعين كتاباً وأشهرها الرد على الخوارج، والخلاصة اللاهوتية وشرح كثير على مؤلفات أرسطو كان فيلسوف عقلياً بالمعنى الكامل وقديساً يعشق الله وحاول التوفيق بين الأمرين رحب بفلسفة أرسطو الطبيعية والميتافيزيقية في الوقت رغب عن الافلاطونية الجديدة.
- ٦/ جاليليو (١٥٦٤-١٦٤٢م) عالم إيطالي اشتغل بالفلك والرياضية والطبيعة وضع أسس العلم التجريبي الحديث، اخترع الميزان المائي صنع منظار فلكي أظهر به أن سطح القمر جبلي اكتشف اربعة اقمار للمشتري (الموسوعة العربية الميسرة،، مج الثاني).
- ٧/ جلال مظهر، مآثر العرب على الحضارة الأوربية، الأنجلو المصرية، بدون تاريخ.
- ٨/ جيرارد دودي كريمونا (١١١٤ - ١١٨٧م) ولد بكريمونا بإيطاليا واستقر في طليطلة وقضى معظم سنين عمره بها، تعلم أولاً اللغة العربية وعكف خلال العشرين سنة الأخيرة على الترجمة، فاتم ترجمة حوالى = = ثمانين مؤلفاً من أهم المؤلفات،

- في مختلف العلوم ومات جرارد قبل أن ينتهي من ترجمة كتاب القانون في الطب لابن سينا - حضارة الإسلام وأثرها في الرقي العالمي ، جلال مظهر.
- ٩/ ديلاسي أوليري - الفكر العربي ومكانته في التاريخ ، نقله في العربية وعلق عليه إسماعيل البيطار، دار الكتاب اللبناني بيروت، ط الأولى ١٩٧٢ م .
- ١٠/ سعيد عبد الفتاح عاشور ، أوروبا العصور الوسطى ، النهضة والحضارة والنظم ، الجزء الثاني ، مرجع سابق.
- ١١/ سيجر البرابانتي (١٢٣٥ - ١٢٨٢م) فيلسوف فرنسي يعد من رواد ما يسمى (الرشديين اللاتينيين) وهو الذي ارتبطت باسمه نظرية الحقيقة المزدوجة (التي أساءت كثير لابن رشد في الغرب المسيحي إلى درجة التعارض المباشر مع النزعات والتأويلات ولقد قيل أن سيجر قد إقتاله مساعده الخاص وربما تحت تأثير تلك الإدانات والمواجهات الحامية مع الكنيسة ورجال الدين . (انظر مترجم كتاب أرسكي للإسلام والمسيحية)
- ١٢/ السيد أبوأسعد أحمد الحسين ، أثر الثقافة الإسلامية في تكوين الإنسانية ، دار الكتب الحديثة.
- ١٣/ ضون ريموند رئيس أساقفة طليطلة (١١٢٥ - ١١٥١م) قام بدور فعال في الإشراف على حركة الترجمة من العربية في الفلسفة والطب والرياضيات والمنطق والفلك وغيرها.
- ١٤/ عبدالرحمن بدوي ، دور العرب في تكوين الفكر الأوربي ، مرجع سابق.
- ١٥/ عبدالرحمن التليي ، ابن رشد الفيلسوف العالم ، تونس، ١٩٩٨م.
- ١٦/ عبده فرج ، معالم الفكر الفلسفي في العصور الوسطى ، فلسفة إسلامية ومسيحية ، ط ١٩٦٩ ، ط الأنجلو.
- ١٧/ على سامي النشار ، مناهج البحث عند مفكري الإسلام ، مرجع سابق ، ٢٥٦.
- ١٨/ كمال إلى ازجي، معالم الفكر العربي في العصر الوسيط ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط الثالثة ١٩٦١.
- ١٩/ لطيفة ابراهيم الخضر الإسلام في الفكر الغربي ، عالم الكتب ، ط ١ ، ٢٠٠٢م - ١٤٢٣هـ.
- ٢٠/ محمد المكي الناصر، قنوات الاتصال بين الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية ، ندوة الثقافة الإسلامية والثقافة الغربية الأخذ والعطاء ، سلسلة الندوات أكاديمية المملكة المغربية ١٤١٢هـ / ١٩٩١م.
- ٢١/ محمود حمدي زقزوق ، المنهج الفلسفي بين الغزالي وديكارت ، دار القلم ، الكويت، ط الثالثة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٣م .
- ٢٢/ مختار القاضي ، أثر المدنية الإسلامية في الحضارة الغربية ، ج. م. ع. ، المجلس

الأعلى للشؤون الإسلامية ، لجنة التعريف بالإسلام ، كتاب الثاني والتسعون ، بدون تاريخ.

٢٣/ ميخائيل سكوت (١٢٣٥م) أسكوتلندي ترجم بطليطة سنة ١٢١٧م بمعاونة أحد إلهود كتاب علم الهيئة للبطلوجي ، وكان أول من ترجم شروح ابن رشد على أرسطو .

٢٤/ يوسف كرم ، تاريخ الفلسفة الأوربية في العصر الوسيط ، مرجع سابق.